

التفسير العقلي لقصة خلق حواء -عليها السلام- عند عبد الكريم الخطيب المصري

-دراسة تحليلية نقدية-

The mental explanation of the story of Eve's creation (May peace be upon her) according to Abdul Karim Al-Khatib Al-Masry, a critical analytical study

عبد الخالق لعربي *

جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-

karzazu@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/10/09

تاريخ الاستلام: 2021/12/24

ملخص:

لم يتم التفصيل في قصة خلق حواء -عليها السلام- في القرآن الكريم؛ لذا حاول المفسرون بيانها حسب ما ورد في القرآن والسنة. لكن بعض الباحثين المعاصرين انتهجوا في تفسيرها منهج المدرسة العقلية منهم: عبد الكريم الخطيب المصري-رحمه الله- الذي اعتمد في تفسيرها ما يوافق نظرية دارون؛ والتي أثبت تقادم العلم بطلانها، وبالتالي ما بني على باطل فهو باطل، وإن كان هدف عبد الكريم الخطيب إظهار للغرب موافقة القرآن للعلم والعقل، فلا بد من الاعتماد على القرآن والسنة لتفسير هكذا قصص؛ لأنّ السنة مبيّنة للقرآن الكريم.

كلمات مفتاحية: تفسير، الخطيب، قصة، خلق، حواء.

Abstract:

The Holy Quran did not detail the story of Eve's creation (May peace be upon her). Therefore, some interpreters have tried to shed light on it using Quran and Sunnah solely. Modern scholars such as Abdelkarim El-khatib (May Allah's mercy be upon him.) have explained the story using Mentalism. He has adopted the Darwinistic approach which obsolescence of science has actually proved wrong. Thus, what is built on illegitimacy is

illegitimate. Though El-khatib's objective was to show the West that Quran does correspond to science and reason, elucidation of such stories should only be based on the Book (the Quran) and Sunnah; for the latter can best explicate the former.

Keywords: explicate; El-khatib; story; creation; Eve's.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:
إن قضية خلق أمنا حواء -عليها السلام- من القصص التي نوه إليها القرآن ولم يفصل فيها كتفصيله في خلق الإنسان بصفة عامة؛ بل ربطها بخلق أبينا آدم -عليه السلام- قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)" [النساء/1]، ومع أن جمهور المفسرين ذكروا أن حواء خلقت من آدم -عليهما السلام- وبالضبط من ضلعه؛ إلا أن بعض الباحثين رأوا أنه لا دليل على هذا، بل قالوا أنه من الإسرائيليات، ومن قال بذلك الدكتور عبد الكريم الخطيب المصري¹ -رحمه الله تعالى-، حيث تطرق لذلك في كتابيه: "التفسير القرآني للقرآن" و"القصص القرآني في منطوقه ومفهومه"؛ لذا نحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على هذه القضية من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة؛ وهي:

- فيم تمثّل تفسير المفسرين لقصة خلق حواء -عليها السلام-؟ وما معتمدهم في هذا؟.

- وبم فسر عبد الكريم الخطيب هذه القصة؟ وما مستنده في ذلك؟.

- ثم ما هو -يا ثرى- التفسير الصحيح لهذه القصة؟ ولماذا؟.

وأهم الأهداف المرجوة من وراء ذلك:

- بيان أقوال المفسرين في قصة خلق حواء -عليها السلام- وأدلتهم على ذلك.

¹ (أضفنا كلمة المصري نسبة لبلده مصر، وهذا للتفريق بينه وبين غيره ممن سمي بنفس الاسم كعبد الكريم الخطيب المغربي).

- توضيح رأي عبد الكريم الخطيب في قصة خلق حواء -عليها السلام-.

- تمحيص الأدلة التي اعتمدها المفسرون والخطيب في تفسير هذه القصة.

- الوصول إلى التفسير الصحيح والمناسب لهذه القصة.

وبالتالي يقتضي بحثنا منهاجاً تحليلياً لتحليل أقوال المفسرين في هذه القصة، ومنهاجاً مقارناً للمقارنة

بين أقوالهم وقول عبد الكريم الخطيب في تفسيره هذه القصة، وبيان موقفه من أقوالهم، ثم منهاجاً نقدياً لنقد ما وجب نقده من آراء وأدلتها والخروج بالرأي الصواب في هذه القضية.

هذا وللوصول إلى ما نطمح إليه اعتمدنا خطة بحث تشتمل على هذه المقدمة وثلاث مباحث

وخاتمة، حيث عنونت:

المبحث الأول: تفسير المفسرين لقصة خلق حواء -عليها السلام-. ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: بيان المقصود بحواء -عليها السلام-.

المطلب الثاني: قصة خلق حواء -عليها السلام- وتفسير أشهر المفسرين لها.

ثم **المبحث الثاني:** تفسير عبد الكريم الخطيب لقصة خلق حواء -عليها السلام- وموقفه من أقوال المفسرين. وقسمته كذلك إلى مطلبين كالآتي:

المطلب الأول: تفسير عبد الكريم الخطيب لقصة خلق حواء -عليها السلام-.

المطلب الثاني: موقفه من أقوال المفسرين في قصة خلق حواء -عليها السلام-. وفي الأخير:

المبحث الثالث: معتمد المفسرين في تفسيرهم لقصة خلق حواء -عليها السلام-. ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معتمد المفسرين القائلين بأنّ حواء -عليها السلام- خلقت من ضلع آدم -عليه السلام-.

المطلب الثاني: معتمد المفسرين القائلين بأنّ حواء -عليها السلام- خلقت استقلالاً.

ثم مسك الختام خاتمة تضمنت أهمّ النتائج.

المبحث الأول: تفسير المفسرين لقصة خلق حواء-عليها السلام-.

المطلب الأول: بيان المقصود بحواء-عليها السلام-.

أولاً: التعريف بحواء لغة: جاء في كتاب الصحاح: "والْحَوَّةُ: شجرة الشفة، يقال: رجلٌ أَحوى، وامرأة حَوَاءٌ، وقد حَويت"². وفي القاموس المحيط: "الحَوَّةُ: بالضم سواد إلى الخضرة، أو حُمْرَةٌ...، وشفة حَوَاءٌ: حَمْرَاءُ إلى السَّوَادِ... وَحَوَاءٌ: أفراسٌ، وزوج آدم -عليهما السلام-"³.

وتحوى الشيء: 1- تجمع واستدار، وتحوتِ الحبة: تلوت وتحوزت. أو 2- انقبض: تحوى الثعبان. وأحوى مفرد جمع حَوٍّ ومؤنثه حَوَاءٌ، وحَوٍّ...صفة مشبهة تدل على الثبوت من حَوٍّ أو ما شاب حمرة أو خضرة سواد" فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوًى (5) " [الأعلى/5]..... وحوايا البطن: أمعاؤه، " إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ " [الأنعام/146]، وحوايا مفرد مؤنثه أحوى، وهي أم البشر حَوَاءٌ زوج آدم -عليهما السلام-، والدة قابيل وهابيل"⁴.

ثانياً: اصطلاحاً: لم يرد ذكر حواء في القرآن الكريم صريحاً، بل إشارة مثل قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " [النساء/1]؛ وورد اسم حواء في الحديث، ومن هنا تطرقنا للتعريف بهذا الاسم انطلاقاً مما ذكره المفسرون وعلماء الحديث فخلصنا إلى عدة معانٍ أهمها:

² (الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، (1430هـ-2009م)، ص 290.

³ (الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (1426هـ-2005م)، ص 1277.

⁴ (ينظر أحمد مختار عمر، (1429هـ-2008م)، مج1، ص 591.

[النساء/1]، وقوله -عليه الصلاة والسلام: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ"¹¹. إلا أن المفسر أبو مسلم الأصفهاني -رحمه الله تعالى- أنكر خلقها من الضلع، متعللاً بأن الله -عز وجل- قادر على خلقها من التراب¹² وهو ما ذهب إليه ابن بحر وأورده القاسمي في تفسيره. ولبيان ذلك لا بأس أن نورد بعض أقوال المفسرين في قصة خلق حواء -عليها السلام- على سبيل الذكر -لا الحصر-:

- أراء المفسرين في قصة خلق حواء -عليها السلام-: من أشهرهم:

الطبري: يقول -رحمه الله-: "يعني بقوله جل ثناؤه: "وخلق منها زوجها"، وخلق من النفس الواحدة زوجها= يعني بـ"الزوج"، الثاني لها. وهو فيما قال أهل التأويل، امرأتها حواء..... حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "وخلق منها زوجها"، يعني حواء، خلقت من آدم، من ضلع من أضلاعه"¹³.

القرطبي: قال: "قال مجاهد: خلقت حواء من قصبري آدم. وفي الحديث "خلقت المرأة من ضلع عوجاء"¹⁴.

ابن جزي: يقول: "﴿زَوْجَهَا﴾ هي حواء خلقت من ضلع آدم"¹⁵.

الماوردي: قال "﴿وَوَخَّلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء، قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن: خلقت من ضلع آدم، وقيل: الأيسر، ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج."¹⁶.

¹¹ (سبق تخريجه

¹² ينظر: الفخر الرازي، فخر الدين (1401هـ-1981م)، ج9، ص 167. والألوسي، أبو الفضل، بدون، مج2، ص 392.

¹³ (الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ط2 (بدون)، مج7، ص 515.

¹⁴ (القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (1427هـ-2006م)، ج6، ص 6.

¹⁵ (الكلي، ابن جزي، (1415هـ-1995م)، ج1، ص 172.

¹⁶ (الماوردي، أبو الحسن البصري، ط (بدون)، ج1، ص 446.

فالطبري والقرطبي وابن جزئي والماوردي يرون أن حواء -عليها السلام- خُلقت من آدم، وبالضبط من ضلعه الأيسر، وهذا نقلا عن سلف كابن عباس، مجاهد، الحسن وقتادة.

الرازي: حيث فصل في مسألة أصل خلق حواء -عليها السلام- وأورد قولين للعلماء فقال: "قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فيه مسائل: المسألة الأولى: المراد من هذا الزوج هو حواء، وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان: الأول وهو الذي عليه الأكثرون: أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها، لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه، واحتجوا عليه بقول النبي ﷺ: "إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرته وإن تركتها وفيها عوج استمعت بها". والقول الثاني: وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني: أن المراد من قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها وهو كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢] وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]¹⁷، ثم بيّن القول الراجح عنده في المسألة: "قال القاضي: والقول الأول أقوى، لكي يصح قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين، لا من نفس واحدة. ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة "من" لا ابتداء الغاية، فلما كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال: خلقكم من نفس واحدة، وأيضا فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادرا أيضا على خلق حواء من التراب، وإذا كان الأمر كذلك، فأني فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم؟".¹⁸

فالرازي هنا يميل إلى قول أن حواء -عليها السلام- لم تخلق من ضلع آدم -عليه السلام-.

الطاهر بن عاشور: بيّن السبب في الاختلاف في هذه القصص انطلاقا من تفسير معنى "من" الواردة في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾¹⁹ هل هي للتبويض أو للجنس والنوع؟. فقال: "والنفس الواحدة: هي

¹⁷ (الفخر الرازي، ج9، ص 167.

¹⁸ (المصدر نفسه، ج9، ص 167.

¹⁹ (سورة النساء، الآية 01.

آدم. والزوج: حواء، فإن حواء أخرجت من آدم من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر قوله منها. و"من" تبعيضية. ومعنى التبعية أن حواء خلقت من جزء من آدم. قيل: من بقية الطينة التي خلق منها آدم. وقيل: فصلت قطعة من ضلعه وهو ظاهر الحديث الوارد في الصحيحين. ومن قال: إن المعنى وخلق زوجها من نوعها لم يأت بباطل، لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان فإن أنثى كل نوع هي من نوعه.²⁰ وبالتالي يرى ابن عاشور أن حواء خلقت من آدم -عليه السلام- إما من ضلعه -كما ذكره من سبقه من المفسرين- وهو الذي رجحه لموافقة لظاهر الحديث، أو من بقية الطينة التي خلقت منها آدم -عليه السلام- وهذا مرجوح لعدم الدليل الذي يدل عليه صراحة.

أبو حيان الأندلسي: ذكر قولين:

الأول: كون حواء خلقت من ضلع آدم -عليه السلام-، فقال: "و﴿رَوَّجَهَا﴾: هي حواء. وظاهر منها ابتداء خلق حواء من نفسه، وأنه هو أصلها الذي اخترعت وأنشئت منه، وبه قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي، قالوا: إن الله تعالى خلق آدم وحشا في الجنة وحده، ثم نام فانتزع الله تعالى أحد أضلاعه القُصْرَى من شماله. وقيل: من يمينه، فخلق منها حواء. قال ابن عطية: ويعضد هذا القول الحديث الصحيح في قوله عليه السلام: (إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرناها وكسرها طلاقها).²¹"

القول الثاني: أنها لم تخلق من آدم، بل من نفس المادة التي خلق منها فقط، فتابع في بيان الحديث الذي عضد به القول الأول قائلاً: "ويحتمل أن يكون ذلك على جهة التمثيل لاضطراب أخلاقهن، وكوهن لا يثبتن على حالة واحدة، أي: صعوبات المراس، فهي كالضلع العوجاء، كما جاء ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧]. ويؤيد هذا التأويل قوله: إن المرأة، فأنتى بالجنس ولم يقل: إن حواء. وقيل: هو

²⁰ ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م)، ج4، ص 215.

²¹ الأندلسي، أبو حيان، بدون، ج3، ص 163.

على حذف مضاف، والتقدير: وخلق من جنسها زوجها. قاله ابن بحر وأبو مسلم²². فأبو حيان جمع أقوال المفسرين في ذلك فقط ولم يُرجح أيّاً منها.

القاسمي: يقول: "﴿وخلق منها زوجها﴾ أي: من نفسها، يعني من جنسها ليكون بينهما ما يوجب التآلف والتضام، فإن الجنسية علة الضم، وقد أوضح هذا بقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم: ٢١]²³. قلت: وهذا الرأي قال به من سبقه كابن بحر وأبو مسلم الأصفهاني والرازي.

وبناء على هذا يمكن إجمال أقوال المفسرين في أصل خلق حواء -عليها السلام- إلى قولين:

- أنّها خلقت من آدم -عليه السلام-. وهذا ما عليه جمهور المفسرين.

- أنّها لم تُخلق من آدم -عليه السلام-. وهذا ما ذهب إليه أبو مسلم الأصفهاني وابن بحر²⁴ والقاسمي والرازي.

فما موقف عبد الكريم الخطيب من القولين؟

المبحث الثاني: تفسير الخطيب لقصة خلق حواء -عليها السلام- وموقفه من أقوال المفسرين.

المطلب الأول: تفسير عبد الكريم الخطيب لقصة خلق حواء -عليها السلام-.

فسّر عبد الكريم الخطيب قصة الخلق على أنّ حواء خلقت استقلالاً من نفس المادة التي خلقت

منها آدم -عليهما السلام- لا من ضلعه، وتأول الضمير في "منها" من قوله تعالى: "وَحَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا"

[النساء/1] على أنّه لا يقصد به آدم في كينونته البشرية؛ وإنّما يشير إليه باعتباره مادة مهياة لخلق البشر،

وهي المادة التي خلق منها آدم -عليه السلام-، حيث يقول عند تفسيره لهذه الآية: "أي وخلق من هذه

²²(المصدر نفسه، ج3، ص 163.

²³(القاسمي، محمد جمال الدين، (1376هـ-1957م)، ج5، ص 1095.

²⁴(ينظر: المصدر السابق ج3، ص 163.

النفس، ومن مادتها وطبيعتها زوجاً لهذه النفس، مقابلاً لها ومكملاً لوجودها"²⁵، ويبيّن أنّ هذا التفسير هو الذي يوافقه ويقرره العلم الحديث [حيث -كما هو معلوم- كانت سائدة آنذاك نظرية دارون نظرية التطور]، ووضّح بناء على ذلك نظريته لقصة خلق حواء -عليها السلام- عند تفسيره لقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [الأعراف/189] قائلاً: " والمراد بالنفس الواحدة، الجرثومة أو السلالة التي تكاثر منها هذا النسل، وتوالد، كما تتكاثر وتتوالد حبات السنبل من حبة واحدة، ثم تكون من تلك الحبات سنابل، ومن تلك السنابل حبات، ومن الحبات سنابل.. وهكذا.. وفي قوله تعالى: « وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا » إشارة إلى أنّ التزاوج الذي تمّ بين الجرثومة الأولى وأنها كان عن توافق بينهما، وتجانس في الصفات، حتى يكون ذلك داعية إلى اجتماعهما وتآلفهما: « وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » أي ليجتمع إليها، وليطمئن لها، ويستقر معها .. وقد أشرنا من قبل في قصة آدم وخلق « 1 » أن حواء التي قيل إنها خلقت من ضلعه، ولم تكن إلّا مرحلة من مراحل التطور في خلق آدم، وأن عملية التكاثر في تلك المرحلة كانت بانقسام الكائن الحيّ على نفسه، كما هو الشأن في بعض مخلوقات الدنيا من الديدان"²⁶.

بناء على هذا؛ فإنّ عبد الكريم الخطيب يرى أنّ حواء -عليها السلام- خلقت من نفس المادة التي خلق منها آدم -عليه السلام- إمّا استقلالاً أو انقساماً خلويًا كما تقول نظرية تطور الأحياء -نظرية دارون-.

المطلب الثاني: موقفه من أقوال المفسرين في قصة خلق حواء -عليها السلام-.

من خلال تفسير عبد الكريم الخطيب -رحمه الله تعالى- لقوله تعالى: "وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [النساء/1] صرّح بموقفه من تفسير المفسرين لهذه الآية وقصة أصل خلق حواء -عليها السلام-؛ حيث

²⁵ الخطيب، عبد الكريم المصري، (1390هـ/1970م)، مج1، ص682.

²⁶ المصدر نفسه، مج2، ص537-538. وللمزيد ينظر المصدر نفسه: مج4، ص496-497 و1119-1120. عند

تفسيره للآيتين: الروم/21، الزمر/6.

ردّ رأي جمهور المفسرين الذي يقول بخلق حوّاء من ضلع آدم -عليهما السلام-، وجعل ذلك من الأساطير وأن لا دليل يساندها من القرآن والسنة، فقال: "والقصة التي تقول إن « حواء » خلقت من ضلع آدم، هي من واردات الأساطير، وقد أخذ بها معظم المفسرين، وفهموا هذه الآية الكريمة عليها. والآية الكريمة لا تعين على هذا الفهم، ولا تسانده.."²⁷. وبالتالي فالخطيب نحا نحو ما قال به أبو مسلم الأصفهاني وابن بحر والقاسمي من أن حوّاء لم تخلق من آدم -عليهما السلام-. قائلاً: "فهل إلى هذه الجرثومة الإيمينية تمتد أنظار المفسرين الذين قالوا إنّ حواء وآدم خلقا من جرثومة واحدة كانت آدم أولاً ثم انقسمت على نفسها فكانت آدم وحواء ثانياً؟ إن يكن ذلك فلا بأس به عندنا، وهو الذي نقول به"²⁸. ومعلوم أن أبا مسلم الأصفهاني وابن بحر والقاسمي ذكروا أن حواء -عليها السلام- خلقت من نفس جنس آدم -عليه السلام- أي من تراب، أما ما ذكره الخطيب من الجرثومة وانقسامها فهذا من نظريات وفرضيات العلم الحديث -نظرية دارون-، وهو من رأي الخطيب واجتهاده في تفصيل كيفية خلق حواء -عليها السلام-، لذا لزم تمحيص رأيه ورأي غيره من المفسرين ولا يكون ذلك إلا بعد الرجوع لما اعتمده عبد الكريم الخطيب والمفسرون في تفسير هذه القصة وهو ما نعالجه في مبحثنا الثالث:

المبحث الثالث: معتمد المفسرين في تفسيرهم لقصة خلق حواء -عليها السلام-.

لابدّ من معرفة مستند الأقوال المذكورة آنفاً في تفسير قصة أصل خلق حواء -عليها السلام- لاختبار صحة ما اعتمده أصحاب كل قول كالآتي:

المطلب الأول: معتمد المفسرين القائلين بأنّ حواء خلقت من ضلع آدم -عليهما السلام-.

إنّ القائلين بأنّ حواء -عليها السلام- خلقت من ضلع آدم -عليه السلام-؛ هم جمهور المفسرين، حيث نجد أنّ أشهر ما اعتمدوا عليه في هذا آيات تحدثت عن خلق حواء منها:

- قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [النساء/1].

²⁷ المصدر السابق، مج1، ص 682.

²⁸ المصدر نفسه، مج1، ص 683-684.

- قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [الأعراف/189].

- قوله تعالى: "خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [الزمر/7].

حيث فسّروا كلمة "نفس" في هذه الآيات على أنها آدم -عليه السلام-، و "زوجها": هي حواء -عليها السلام- وكلمة "من": أنها تبعيضية؛ أي خلقت حواء من بعض آدم -عليهما السلام-، واستعانوا في بيان كيفية خلقها على مستند آخر وهو الحديث الصحيح:

- قوله -عليه الصلاة والسلام-: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ"²⁹. ومع أن المذكور في الحديث "من ضلع" ولم يذكر ضلع آدم؛ إلا أن أغلب المفسرين حملوه على أنه ضلع آدم أي أن حواء خلقت من ضلع آدم -عليهما السلام-، وحجتهم في حملهم هذا الجمع بين ما ذكر في القرآن وما ذكرته السنة، فعملوا على تفسير القرآن بالسنة، ومعلوم أن هذا الأخير هو النوع الثاني من التفسير بالمأثور، بل هو من أحسن التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، كما قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)" [النحل/44]، ويقول ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه يفسر في مكان آخر، وما أجمل في مكان فقد بسط في آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن ومفسرة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن"³⁰. ناهيك عن أن قولهم هذا ليس بدعا، بل هو مما نقل عن أشهر الصحابة المفسرين ابن عباس -رضي الله عنه - الذي دعا له النبي -عليه الصلاة والسلام-: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"³¹.

²⁹ تقدم تخريجه.

³⁰ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ط2 (1392هـ-1972م)، ص 93.

³¹ رواه الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، (1420هـ-1999م)، حديث رقم 3032، ج 5، ص 159-160. والحديث أصله في الصحيحين بدون لفظ "وعلمه التأويل".

كما أنهم استأنسوا في ذلك ببعض ما ورد في الإسرائيليات من قصة خلق حواء من ضلع آدم - عليهما السلام- وها هي ذي القصة كما أوردها الإمام الطبري:

- "حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: ألقى على آدم □ السَّنة -فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن العباس وغيره- ثم أخذ ضِلْعًا من أضلَاعه، من شِقِّهِ الأيسر، ولأم مكانه، وآدم نائمٌ لم يهَبْ من نومته، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضِلْعِهِ تلك زوجته حواء، فسَوَّاهَا امرأةً ليسكن إليها، فلما كُشِفَتْ عنه السَّنة وهَبَّ من نومته، رآها إلى جنبه، فقال -فيما يزعمون، والله أعلم-: لحمي ودمي وزوجتي! فسكن إليها"³².

والاستئناس بالإسرائيليات لا بأس به ما دام لا يعارض تعاليم الشرع؛ عملاً بحديث: "وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ" [رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (3274)]. فأرى أنَّ تفسيرهم هنا لا غبار عليه -والله أعلم-.

المطلب الثاني: معتمد المفسرين القائلين بأنَّ حواء -عليها السلام- خُلقت استقلالاً.

أمَّا القائلون بأنَّ حواء -عليها السلام- خُلقت استقلالاً من نفس المادة التي خلق منها آدم -عليه السلام- وليس من ضلعه، فهم: أبو مسلم الأصفهاني وابن بحر، وتابعهم القاسمي وعبد الكريم الخطيب، حيث استندوا في ذلك على بعض الآيات التي تتحدث عن كون أنَّ كلَّ المخلوقات خلقت زوجين اثنين، فذكر من ذلك عبد الكريم الخطيب آيات قرآنية يرى أنها جعلت أصل خلق الذكر والأنثى في جميع الكائنات طبيعة واحدة؛ مثل:

- قوله تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49)" [الدَّارِيَات/49].

- قوله تعالى: "وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)" [النبا/8].

- قوله تعالى: "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مِیِّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْطِيَ الْمَوْتَى (40)" [القيامة/35-40].

³² (الطبري، مج7، ص 515).

قلت: إنّ هذه الآيات لا تعارض كون خلق حواء من آدم -عليهما السلام-، بل تفيد أن أيّ شيء إلا وُثِّلَ منه نوعين؛ فالإنسان فيه الذكر والأنثى، وهذا لا ينفي خلق الأنثى من الذكر أي خلق حواء من آدم -عليهما السلام-؛ وإثما يدل على قدرة المولى -عز وجل- وعظمته في تنوع الخلق والمخلوقات.

كما اعتمد الخطيب على دليل آخر وهو نظرية التطور (نظرية دارون)، وأوّل الآية التي استدللّ بها المفسرون على خلق حواء من آدم -عليهما السلام- قوله تعالى: "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [النساء/1]، حيث جعل "منها" للجنس أي من جنس زوجها، وهذا قال به من قبله كأبي مسلم الأصفهاني وابن بحر، وذكره أبو حيان الأندلسي وردّ عليه قائلاً: "...وقيل [أي من زوجها]: هو على حذف مضاف، التقدير: وخلق من جنسها زوجها، قاله ابن بحر وأبو مسلم لقوله: ﴿من أنفسكم أزواجاً﴾ [النحل: ٧٢] و﴿رسولاً منهم﴾ [البقرة: ١٢٩]. قال القاضي: الأول أقوى، إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة."³³، ثمّ أورد رداً يساند ما قال به الخطيب قائلاً: "ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة (من) لا ابتداء الغاية، فلما كان ابتداء الخلق وقع بآدم، صح أن يقال ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾. ولما كان قادراً على خلق آدم من التراب كان قادراً على خلق حواء أيضاً كذلك. وقيل: لا حذف، والضمير في (منها)، ليس عائداً على نفس، بل هو عائداً على الطينة التي فصلت عن طينة آدم. وخلقت منها حواء، أي أنّها خلقت مما خلق منه آدم"³⁴.

قلت: ما أرى هذا إلاّ خلاف ظاهر السياق وتكلّف في تحميل اللفظ معان لا قرينة ولا دليل عليها وتأويل بعيد -خاصة نجد أنّ الحديث يوافق ظاهر الآية-؛ ولذلك نجد أنّ أصحاب هذا القول ذهبوا كذلك إلى تأويل حديث "اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ"³⁵ بنفس الطريقة التي تأولوا بها الآية، فقالوا

³³ (الأندلسي، أبو حيان، ج3، ص 163.

³⁴ (المصدر نفسه، ج3، ص 163.

³⁵ (تقدم تخرجه.

أنه ليس على الحقيقة بل على التمثيل أي المرأة كالضلع، وهذا ما أورده أبو حيان كذلك بعد إيراد هذا الحديث فقال: " ويحتمل أن يكون ذلك على جهة التمثيل لاضطراب أخلاقهن، وكوْنهن لا يثبتن على حالة واحدة، أي: صعوبات المراس، فهي كالضلع العوجاء كما جاء ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ³⁶، وأمّا عبد الكريم الخطيب فلم نجد له تعليق على هذا الحديث ولا ذكر للحديث أصلاً، بل ذكر ما يفيد معناه أنّه من قصص الإسرائيليات ³⁷، وربما أفاد ذلك ردّه للحديث كما هو دأبه ودأب المدرسة العقلية في ردّ بعض الأحاديث الصحيحة بزعم أنّها تعارض النص القرآني والعقل والعلم ³⁸. خاصة إذا علمنا أن عبد الكريم الخطيب في كتابه "التفسير القرآني للقرآن" صرّح بالاعتماد في التفسير على القرآن، فردّ فيه بعض الأحاديث الصحيحة، مدّعياً أنّها تخالف النص القرآني والعقل والعلم. ولا ننسى أنّ النظرية العلمية نظرية دارون أصلاً قد أثبت العلم بطلانها.

ومن ثمّ نقول: أنّ القول الصحيح -والله أعلم بالصواب- في قصّة خلق حوّاء -عليها السلام- هو أنّها خلقت من آدم -عليه السلام-؛ وبالضبط من ضلعه كما يقتضيه ظاهر الآية والحديث، فالسنة جاءت مبيّنة للقرآن الكريم، وهذا ما عليه جمهور العلماء.

خاتمة:

مما سبق نخلص إلى ما يلي:

- إن قصة حوّاء -عليها السلام- من القصص الغيبية التي لم يفصل فيها القرآن الكريم.
- تفسير المفسرين لخلق حوّاء من ضلع آدم -عليهما السلام- اعتماداً على ظاهر القرآن وما جاء في السنة النبوية واستثناساً ببعض الإسرائيليات.

³⁶ المصدر نفسه، ج3، ص 163.

³⁷ ينظر الخطيب، عبد الكريم المصري، مج1، ص 682.

³⁸ ينظر الزّومي، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان، (1403هـ-1983م)، ج1، ص 298.

- يرى عبد الكريم الخطيب أنّ خلق حواء -عليها السلام- كان استقلالاً من نفس المادة التي خلق منها آدم -عليه السلام- عن طريق ما يعرف بالانقسام الخلوي.
- تفسير عبد الكريم الخطيب لهذه القصة كان اعتماداً على اجتهاده لفهم القرآن الكريم وإعمالاً لنظريات علمية (نظرية دارون) أثبت العلم عدم صحتها فيما بعد.
- اجتهاد عبد الكريم الخطيب في تفسير هذه القصة بهذا النحو راجع إلى استفحال نظرية دارون في عصره وتأثره بالمدرسة العقلية؛ التي عملت على استعمال العقل للدفاع عن بعض الشبهات التي كانت تحاك آنذاك ضدّ الإسلام، مما جعلها تقع في زلّات كردّ أحاديث صحيحة وتفسير آيات على خلاف ما قال به جمهور العلماء. فالقصد حسن والوسيلة خاطئة، وهذا ما يبرّر مخالفة الخطيب للجمهور في تفسير هذه القصة.
- اجتهاد عبد الكريم الخطيب هذا يعبر عن غيرته عن الإسلام، وما قيّضه الله -تعالى- لهذا الدّين من حماة في كل زمان ومكان.
- خلق حواء من ضلع آدم -عليهما السلام- لا يعتبر انتقاصاً لها -كما يرى البعض- بل دليل تكامل الرجل والمرأة، وفيه إظهار لقدرة الله -تعالى- في تنوع خلقه؛ حيث خلق آدم من تراب، وحواء من آدم، ومن تزواجهما بنو آدم، كما خلق عيسى من مريم -عليهما السلام-، فخلق المرأة من الرجل والرجل من المرأة... -فسبحان الخالق عزّ وجل-.
- وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفر وأتوب إليك.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

1. الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت398هـ)، ط(1430هـ-2009م)، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، دار الحديث -القاهرة-.
2. الفيروز آبادي، العلامة اللّغوي مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت817هـ)، ط8(1426هـ-2005م)، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة.
3. الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، ط1(1429هـ-2008م)، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب.
4. السّمعاني، الإمام أبي المظفر (ت489هـ)، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط1(1418هـ-1997م)، تفسير القرآن، دار الوطن -الرياض-.
5. البخاري، لأبي محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، ط1(1423هـ-2002م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت.
6. السّمرقندي أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم (ت375هـ)، ط1(1413هـ-1993م)، بحر العلوم "تفسير السّمرقندي"، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.
7. العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، ط3(1421هـ-2000م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام-الرياض-، دار الفيحاء-دمشق-.
8. آبادي، العلامة أبي عبد الرحمن، عون المعبود على سنن أبي داوود، بيت الأفكار الدولية، عمان -الرياض.
9. الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1(1420هـ-1999م)، المسند، مؤسسة الرسالة -بيروت، لبنان-.

10. الإمام الرازي، فخر الدين (ت 604هـ)، ط¹ (1401هـ-1981م)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت-لبنان.
11. الألوسي، العلامة أبو الفضل (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
12. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (661-728هـ)، تحقيق عدنان زرزور، ط² (1392هـ-1972م)، مقدمة في أصول التفسير.
13. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ)، ط² (بدون)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكتبة ابن تيمية -القاهرة-.
14. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المجسّن التركي، اعتنى به وصححه هشام سمير البخاري، ط¹ (1427هـ-2006م)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة والفرقان، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان.
15. الكلبي، الإمام ابن جزي (ت 741هـ)، ضبطه محمد سالم هاشم، ط¹ (1415هـ-1995م)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
16. الماوردي، أبو الحسن البصري (ت 450هـ)، راجعه السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، ط (بدون)، النكت والعيون "تفسير الماوردي"، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتاب الثقافية بيروت-لبنان.
17. ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (ت 1393هـ)، ط (1984م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر -تونس-.
18. الأندلسي، أبو حيان (ت 745هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
19. القاسمي، محمد جمال الدين، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي، ط¹ (1376هـ-1957م)، محاسن التأويل "تفسير القاسمي".
20. الخطيب، عبد الكريم المصري، ط¹ (1390هـ/1970م)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي.